المحاضرة الأولى.

مرحلة الطّفولة، وخصائصها.

I. معنى الطّفولة.

II. مراحل النّمو الإدراكي واللغوي عند الطّفل.

أ- مراحل النّمو الإدراكي للطفل.

أ1 -مرحلة الطّفولة (3-5 سنوات).

أ2 -مرحلة الطّفولة (5-8 سنوات).

أ3 -مرحلة الطّفولة (8-12 سنة).

أ 4-مرحلة المراهقة (13-19 سنة).

أ5-مرحلة المثل العليا (ما بعد 19 سنة).

ب- مراحل النّمو اللّغوي.

ب 1-مرحلة ما قبل الكتابة (3-6 سنوات).

ب 2. مرحلة الكتابة المبكرة (6-8 سنوات).

ب 3-مرحلة الكتابة الوسيطة (8-10 سنوات).

ب 4-مرحلة الكتابة المتقدمة (10-12 سنة).

ب 5-مرحلة الكتابة النّاضجة (12-15 سنة).

لا يختلف أدب الطّفل عن أدب الراشدين في طبيعته، ولا في وظيفته، وإنما يختلف عنه في جمهوره (الأطفال) المتميز بمجموعة من الخصائص التّي تفترض تميز أدبه عن أدب الراشدين، وهذا التميّز لا يغيّر طبيعة الأدب من حيث هو أدب، وإنما يتناول كيفية تقديمه للطفل بشكل تحترم فيه طفولته، وتراعى ميوله ورغباته في كل مرحلة منها، ويمكنه في النّهاية من اكتساب المعرفة دون التضحية بالمتعة.

إن موضوع دراستنا يتكون من مضاف (أدب) ومضاف إليه (الأطفال)، ولكي نفهم محتواه يحسن بنا أن نتعرف بداية على معنى "الطّفولة"، وبعض خصائصها المتعلّقة بتلقّي الأدب عند الصّغار، لنصل بعد ذلك إلى مفهوم أدب الطّفولة، والتمييز بينه وبين أدب الراشدين.

I. معنى الطّفولة:

جاء في المعجم الوسيط: " **الطّفل: المولود ما دام ناعما رخصا، والولد حتى البلوغ، وهو للمفرد المذكر، (ج) أطفال، وفي التنزيل العزيز: "وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا"، وقد يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع، ففي التنزيل العزيز: "ثم نخرجكم طفلا". (وفيه): "أو الطّفل الّذين لم يظهروا على عورات النّساء""**[1] والطّفولة هي المرحلة الأولى من مراحل عمر الإنسان، تبدأ من الولادة، وتنتهي عند البلوغ، فالطّفل هو الولد حتى البلوغ، ويستوي في ذلك الذكر والأنثى، والجمع أطفال.

ولئن كانت نظرة النّاس للطفل، قديما، تركّز على الجانب الفيزيولوجي، فاعتُبِرَ تبعا لصغر حجمه "إنسانا أو رجلا صغيرا"، فإنّ هذه النّظرة مرفوضة في علم نفس الطّفولة الّذي أصبح ينظر إلى سلوك الطّفل بالدّرجة الأولى.

ويؤكّد المختصّون أنّ مرحلة الطّفولة من أهم مراحل الحياة عند الإنسان وأكثرها خطورة؛ لأنّها أساس لمراحل الحياة التالية، وفيها جذور لمنابت التفتح الإنساني، ففيها تتفتق مواهب

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، تح: مجمع اللّغة العربية، دار الدّعوة، ج :2، ص:560.

الإنسان، وتبرز مؤهلاته، وتنمو مداركه، وتظهر مشاعره، وتتبين إحساساته، وتقوى استعداداته، وتتجاوب قابليته مع الحياة سلبا أو إيجابا، وتتحدد ميوله واتجاهاته نحو الخير والشّر، وفيها تأخذ شخصيته بالبناء والتكوين، لتصبح – فيما بعد– متميزة عن غيرها من الشّخصيات الأخرى...

وتتميز طفولة الإنسان بأنها أطول من طفولة الحيوان، حيث استطال بها بعضهم إلى سنّ الثّامنة عشر[2]، وبالتّالي فهي تحتاج إلى رعاية عقلية ونفسية واجتماعية أكبر، فحساسية المرحلة تستمد من آثارها على باقي مراحل حياة الإنسان، فالطّفل صفحة بيضاء، وتتحدّد معظم مقوّمات شخصيته الوجدانية والمعرفية والسلوكية في الخمس سنوات الأولى ...

II. مراحل النّمو الإدراكي واللغوي عند الطّفل:

أدرك العرب، قديما، تمايز مراحل الطّفولة عن بعضها انطلاقا من اختلاف التّطوّرات الحاصلة على الطّفل على مستوى بنيته الجسمية، والذّهنية؛ فسموا كل مرحلة من مراحل الطّفولة باسم خاص، فقيل: (طفل، شدخ صغير، تضبب وتحلم، غلام، يافع، محتلم (حالم)، ناشئ، طار)، ومن المعروف في علم النّفس كذلك أن الطّفل يمر بمراحل مختلفة من النّمو الجسمي والعقلي والعاطفي، ولكل مرحلة منها ما يناسبها من أنواع الأدب، ومن هذه المراحل:

أ– مراحل النّمو الإدراكي للطفل:

أ1 –مرحلة الطّفولة (3–5 سنوات): وهي مرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة، ويكون الطّفل فيها ملتصقا بأبويه ولا يعرف من محيطه سوى البيئة الضيقة المتمثلة بالبيت وما يحيطه من حديقة او شارع وما يشاهده فيها من حيوان ونبات ولا يتجاوز احساس الطّفل في

[2] اعتمد بعض الباحثين في تحديد فترة الطّفولة على بيان منظّمة الأمم المتّحدة للطّفولة (UNICEF)، التّي تعتبر أنّ مرحلة الطّفولة تمتدّ من الميلاد إلى سنّ الثّامنة عشرة، يقول الباحث، إسماعيل عبد الفتّاح: "**الأطفال هم القطاع الممتدّ من عمر الإنسان منذ الميلاد، حتّى سنّ الاعتماد الكامل على الذّات...وهو يعني إدخال مرحلة الفتوّة، ومرحلة المراهقة، والفترة الأولى من مرحلة الشّباب في فترة الطّفولة**...". ينظر: إسماعيل عبد الفتّاح، **أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية تحليلية**، مكتبة الدّار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط:1، 1430هـ/2000م، ص:18.

هذه المرحلة سوى الشّعور بالبيئة المحيطة، ولذلك فان انسب انواع الادب اليه الحكايات والقصص الواقعية المعبرة عن هذه البيئة المحدودة.

أ2 –مرحلة الطّفولة (5–8 سنوات): وهي مرحلة يأخذ فيها الطّفل التطلع الى معرفة ما وراء الظواهر الطّبيعية، فيتخيل ان وراءها شيئا ومن اجل ذلك يجنح بخياله الي سماع قصص الغيلان والاقزام والسندباد وما شابهها من الادب الخيالي.

أ3 –مرحلة الطّفولة (8–12 سنة): وهي مرحلة المغامرة والبطولة وفيها تظهر للطفل غريزة حب المقاتلة والسيطرة والغلبة، ولذلك فان أنسب الادب له هو قصص البطولة والمغامرات، وعليه فيجب ان نختار لهم من هذه القصص ماله معنى سليم، وما خلى من الطّيش والتهور، كقصص البطولة والشّجاعة المتمثلة في الفتوحات الإسلامية.

أ 4–مرحلة المراهقة (13–19 سنة): وفيها يميل الطّفل إلى قصص الغرام، وعلى المربي تقديم القصص الغرامية الرّامية إلى غرض شريف حتى لا ينزلق الطّفل في قصص غرامية رخيصة.

أ5–مرحلة المثل العليا (ما بعد 19 سنة): وفيها يشتد الميل إلى القصص التّي تصور المثل العليا ومشكلات المجتمع، ويعنى الفرد في هذه المرحلة بقراءة القصص التّي تعالج المشكلات الاجتماعية علاجا ينتهي بانتصار الحق والفضيلة على الشّر والرذيلة[3].

ب– مراحل النّمو اللّغوي:

تطلق لفظة لغة على أشكال التّعبير المختلفة، منها: التّعبير الصّوتي، أو الشّفوي (الكلام)، أو التّعبير البصري، أو التّحرير الكتابي... وإذا كان من الضّروري أن يتفق الإنتاج الأدبي للطفل مع نموّه النّفسي، فإنّ اللّغة التّي يكتب بها هذا الأدب يجب أن تتفق هي الأخرى مع درجة نموه اللّغوي، الّذي يقسم مراحل متنوّعة هي:

[3] ينظر: عبد الفتّاح أبو معال، **أدب الأطفال، دراسة وتطبيق**، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط:2، 1988م، ص ص: 22، 23.

ب 1–مرحلة ما قبل الكتابة (3–6 سنوات): يكون اعتماد الطّفل فيها على حاسة السمع لإدراك ما يقدّم له؛ لأنّها مرحلة تسبق بداية تعلم الطّفل الكتابة، وفيها يميل إلى القصص الخرافية وإلى قصص الحيوانات والطّيور، ولكنه لا يستطيع أن يفهم اللّغة من خلال التعبير البصري التحريري المكتوب، لذلك يشكّل التعبير الصّوتي الشّفوي بالكلام، البديل الطّبيعي في تقديم أجناس الأدب المختلفة له.

ب 2. مرحلة الكتابة المبكرة (6–8 سنوات): وفيها تكون مقدرة الطّفل على فهم اللّغة المكتوبة مقدرة محدودة، وفي نطاق ضيق، باعتبار أنّها المرحلة التّي يبدأ فيها الطّفل في تعلم القراءة والكتابة. وعليه يمكن استعمال الأساليب التّي سبقت الإشارة إليها في مرحلة ما قبل الكتابة، وإنما الجديد هنا أن الكتب المصورة التّي كانت تستعمل الرسم وحده كوسيلة للتعبير، أصبحت تستطيع الآن أن تضمّ إلى الرسم بعض الكلمات، والعبارات البسيطة، في حدود ما يمكن أن يضمه قاموس الطّفل في هذه السّن من ألفاظ.

ب 3–مرحلة الكتابة الوسيطة (8–10 سنوات): وفيها يتسع قاموس الطّفل ويكون قد سار شوطا لا بأس به في طريق تعلم القراءة والكتابة، ويمكن حينذاك أن نقدم له قصة كاملة موضحة بالرسوم، تساهم فيها الكتابة بدور رئيس، على أن نراعي في العبارات المستعملة، أن تكون بسيطة سهلة، مكتوبة بخط النّسخ السهل الواضح.

ب 4–مرحلة الكتابة المتقدمة (10–12 سنة): وفيها يكون الطّفل قد قطع مرحلة كبيرة في طريق تعلم اللّغة واتسع قاموسه اللغوي إلى درجة كبيرة.

ب 5–مرحلة الكتابة النّاضجة (12–15 سنة): وفيها يمتلك الطّفل ناصية اللّغة والقدرة على فهمها تقريبا.[4]

[4] ينظر: عبد الفتّاح أبو معال، **أدب الأطفال، دراسة وتطبيق**، ص ص: 23-25.